خصائص المدن العربية الإسلامية

سيناء صالح مهدي
Sena Salih Mahdi

الخلاصة

تهدف الدراسة الى التعرف على طبيعة هندسة بناء المدن العربية الإسلامية من حيث تصاميم الشوارع وبناء المساكن والمساجد والاختلاف فيما بينها نتيجة لعدة عوامل ومنها تأثيرات البلدان المحيطة بها وتميزت التصاميم بجماليتها من حيث العمارة والتصاميم الفنية المتميزة والتي استثمرت لفترات طويلة من قبل العرب المسلمين وغيرهم.

Abstract:

This study aims to recognize Islamic Arabian cites design and building regarding streets, housing and mosque and architecture.

It considered the differences arising from influencing factors and surrounding areas. The designs in general have been known for excellence of architecture and distinguished technical properties. These characteristics have long been invested by Arabs and Muslims.

* * *

تختلف المدن العربية الإسلامية عن غيرها من مدن العالم الأخرى من حيث بناؤها وتكوينها في مؤسساتها ومفاهيمها ومن ثم اندرج هذا الاختلاف في تنظيماتها السياسية واهتماماتها الثقافية وفعالياتها الاقتصادية وتراكيبها الاجتماعية، ويأتي هذا الاختلاف من أن جميع نواحي الحياة فيها مرتبطة بحدود الين الإسلامي منهجا وتطبيقا.

ذلك أن المدينة الإسلامية تضع حدود الإسلام وشرعه مثلا أعلى لها من حيث الانصياع لحكم الحاكم، وتنظيم سلوك الأفراد، وتقيس صحة المعاملات والعلاقات البشرية بما في ذلك معاملة العبيد،بل تقيس ارتفاع البناء وعرض الشارع ومعايير الحي السكني وللمدينة الإسلامية في كل هذا حكم مرجعي أُنزل في القران الكريم كما في قولة تعالى ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ [يس: ٢٠] وفُصل في عمل الرسول الأكرم ﷺ وأقواله كما في الحديث الشريف (من اخاف اهل المدينة اخافة الله عز وجل، وعلية لعنة الله و الملائكة والناس اجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا). (عن السائب بن خلاد رضي الله عنه) وسار عليه الصحابة من بعده.

والمدينة الإسلامية لقاء بين الزمان والمكان فالمكان لقاء بين الطبيعة والفكر، بين المساحة والتصور، بين الامتداد والرؤية وحيث أن الإنسان سيد البيئة وخليفة الله في الأرض يتحدد اختيار المكان طبقا لهذا الإطار، وقد برع العرب في اختيار المكان الملائم لمدنهم حيث يتمشى مع منهج

دينهم الحنيف، من حيث توفر الأمن والدفاع عنها ضد الأخطار الخارجية، وتوفر الأسس الصحيحة والاعتبارات الاجتماعية والمقومات الاقتصادية، وقد اقتبس المسلمين غير العرب فن العمارة و البناء والزخرفة الاسلامية من العرب المسلمين كما هو في مدن قرطبة و غرناطة و اشبيلية في اسبانيا.

أما من حيث العمران فإننا نجد أن المسلمين قد اعتادوا بناء المسجد في وسط المدينة ويقع السوق بالقرب منه الذي يمثل ملتقى للتجار وذوي الحرف، وفيه تعقد المعاملات التجارية، وتحيط المناطق السكنية بالسوق عادة، وترتبط به بوساطة الشوارع الرئيسة التي غالبا ما تكون أوسع من الأزقة الملتوية والضيقة داخلها، وقد اتسم العمران بكثرة المنازل وضيق الدروب واكتظاظها بالناس وبالباعة وأصحاب الحرف.

وتميزت خطط توزيع المحلات السكنية والأسواق والشوارع في المدينة العربية الإسلامية بالانسجام مع خطة المدينة الرئيسة التي غلب عليها الشكل الدائري الذي يتماشى مع خطة الفكر العربي الإسلامي، ومن المدن الدائرية الخطة: الكوفة والبصرة وبغداد والحضر في العراق، أما مدن المغرب العربي ومصر فقد استعملت الخطة المربعة في تخطيط مدنها كالمدن المراكشية والقاهرة القديمة التي بناها الفاطميون.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض مدن الجزيرة العربية مثل جدة ومكة المكرمة يقل فيها وجود الأزقة غير السالكة، كما تتخللها شوارع مستقيمة تتقاطع بزاوية قائمة، ويعود ذلك إلى أن تلك المدن تأثرت بالعالم الخارجي وبخاصة أقطار المحيط الهندي، ولذلك غلبت عليها تأثيرات ما قبل الحضارة الإسلامية.

وبغض النظر عما آلت إليه المدينة العربية الإسلامية من خصائص المجتمع الحضري نالت المنشآت الدينية في المدن العربية اهتماما بالغاً وقدسية كبيرة متمثلة بالمساجد وقبور الأولياء الصالحين، فقد كانت هذه المراكز محلا للمسلمين في إقامة شعائرهم الدينية كالصلاة وتدريس العلوم الإسلامية وتعليم القراءة والكتابة، ومركزاً للاجتماعات العامة، سواء في الأعياد الدينية أو المناسبات الاجتماعية.

وضمن إطار القيم الدينية التي كانت مفروضة فرضا في مجتمع المدينة المسلم ويتصرف بموجبها كل فرد من أفراده، والتي يبرز لنا، إلى حد بعيد، المؤثرات الإسلامية في المجتمعات الحضرية، يمكن أن نشير إلى بعض المبادئ والقيم التي أضحت بمنزلة خصائص ثابتة في المجتمع الحضري العربي مثل: تكريم الإنسان بوصفه أنسانا، وإشاعة العدل بين الناس، ورفض الظلم، والحرية المسؤولة، والمساواة بين البشر، والسماحة الفكرية والاجتماعية، وتقديس العمل والمسؤولية عنه، واحترام الأسرة، والتكافل الاجتماعي، ومع الجشع الاستثماري، والمسؤولية الاجتماعية عن المصالح العامة، وضرورة الاستثمار الإنتاجي، ومنع الاحتكار، ومسؤولية الدولة عن أعمال النفع العام، ورفض

الأمـيـة، والـمـطـالـبـة بـالـعـلـم، وطـلـب الـحـكـمـة، والدعوة لتفكير في الطبيعة وأسرارها، وفي الذات الإنسانية.

أما الجانب التطبيقي لهذه القيم فقد تمثلت بمؤسسات الوقف ورعاية الأيتام وتعليمهم، ورعاية الفقراء والمعدمين، والأغـراب، وذوي العاهات، ومعالجة المرضى جسميا ونفسيا، وتوفير مياه السبيل، والرقابة الصحية اللازمة على مصادر المياه والحمامات العامة.

وثمة حقيقة مهمة تتمثل في أن البنية الاجتماعية على الرغم من طابعها الإسلامي الواضح كانت متأثرة بالتكوينات الاجتماعية الأولى، التي ورثها العرب الفاتحون عن الدول السابقة، فهي أسلامية قبطية في مصر،وإسلامية بربرية في المغرب،وبربرية عربية قوطية وايبرية في الأندلس، هذا فضلا عن الخصائص الاجتماعية الأخرى ذات الارتباط الوثيق بالدين الإسلامي كالمجالس الدينية والاحتفالات بصلاة الجمعة، ومجلس القصاص والمذكرين، ومجالس الوعظ والإرشاد والدعوة، ومجالس القضاء والاحتساب، وتكريم العلماء والاهتمام بهم.

وقبل الانتهاء من هذه الصفحة لابد من الإشارة إلى أن العهد الإسلامي كان العهد الذهبي لبناء المدن الاقتصادية وهيمنتها الذي ارتكز على عدة عوامل؛منها السيطرة التامة على الريف والتجمع الحر في المدن، وتنظيمات العمل، والمدارس المذهبية، وقوة النقد الإسلامي، ونشاط التبادل التجاري، فضلا عن توفير جميع الخدمات اللازمة للتطور الاقتصادي.

- **مثال على المدن العربية الاسلامية (سامراء):**

تعتبر سامراء من المدن العربية الاسلامية وتتميز بالخصائص المعمارية المهمة، وكانت تسمى قديما (سر من رأى).

تقع مدينة سامراء شمال العاصمة مدينة بغداد على بعد ١٢٥ كم ويبلغ عدد سكانها اكثر من ١٩٠ الف نسمة (حسب احصائيات وزارة التخطيط عام ٢٠١٣)، و تقع شرق شرق نهر دجلة ضمن محافظة صلاح الدين.

وكانت عاصمة الدولة العباسية وقد بناها الخليفة المعتصم بالله عام ٢٢١ هـ / ٨٣٥م لتكون عاصمة لدولته.

تمتاز المدينة بوجود عدد كبير من المواقع الاثرية و المعالم الحضرية وابرزها جامع مأذنة الملوية وقصر العاشق وجامع ابي دلف وسور اشناس و القصر الجعفري ومدينة المتوكلية وسور سامراء الذي له ١٩ برجا و ٤ ابواب كما توجد اثار مسيحية و يهودية، ومعظم هذه الاثار شاخصة لوقتنا الحالي.

* * *

خريطة توضح موقع مدينة سامراء

جامع مأذنة الملوية في مدينة سامراء